٦:١١) شعب الله بالزيتون الصريح والامم بالزيتونة البريّة . وفي الرؤيا شبّه يوحنا الرسول النبيّ ايليا ورفيقهُ اخنوخ بزيتونتين

اما الزيت فجاء ذكرهُ في العهدين القديم والحديث تيمّناً ومنه مرّة اشارةً الى خواصّهِ واستعمالهِ لمسح الملوك ولايقاد المصابيح ولدهن الجسد والرأس ودلالةً على الغنى والخصب والفرح . ومما اوصى بهِ السيّد المسيح تلاميذهُ (مرقس ٦ : ١٣) أن يمسحوا المرضى بالزيت ليشفوهم ففعلوا . وكذلك يقول الرسول يعقوب في رسالتهِ الكاثوليكية (٥ : ١٤) : « هل فيكم مريض فليدعُ كهنة الكنيسة وليصلّوا عليهِ ويمسحوهُ بالزيت باسم الرب . . . وان كان قد ارتكب خطايا تغفر لهُ » (لهُ بقيّة)

المدارس العلمانيّة والاديان

نظر للاب لويس شيخو اليسوعي

أُنشئت في انحاء الشرق كمصر والاسكندريّة وسلانيك وازمير وبيروت المدارس العلمانية بايعاز بعض الجمعيّات اللادينيّة نادّعت انّ غايتها نشر العلوم « مع رعاية الاديان كلها على السواء فلا يسوغ اقلّ سعي في استمالة احد الى طائفة دون أخرى ولا شيء من التصدّي للمعتقد والمذهب على الاطلاق » (ص ٦ من كتاب الكلّيّة العلمانيّة المطبوع في زحلة) . ويُقال هناك (ص ٧) انّ « اساس التعليم العلماني على التساهل واحترام جميع الاديان توسّلا الى محو النفار والشقاق اللذين مبعثهما ذميم التعصّب . . فلا تُعلَّم فيهِ نظريّات دين من الاديان . . . على أنّ للطلّاب تمام الحريّة والاطلاق في قضاء واجباتهم الدينيّة وغيرها ممّا يفرضهُ مذهب كل واحد منهم لا يعارَضون في شيء من ذلك قطعاً بل تُبذل لهم كل وسيلة لازمة لاجرائهِ »

هذه مواعيد المدارس العلمانيّة فلا يهمّنا ان ندخل تلك المدارس لنتحقّق صدق مواعيدها فالامر منوط باهل الوطن الذين يريدون لن يسلّموا فلذ اكبادهم لتلك المدارس ليتلقّنوا فيها العلوم كما يجب على الوالدين ايضاً ان ينظرا ما هي آداب المدارس التي يختارونها لاولادهم لئلّا تفسد اخلاقهم وهناك الطامّة العظمى

فنضرب صفحاً عن كل ذلك لننظر ما اعلنت به تلك المدارس من تعريف تعليمها الادبي فنقابلهُ مع تعاليم الاديان. ورد في كتاب الكلية العلمانية (ص ٢٦)

« والتعليم الادبيّ العلمانيّ مستقلّ عن التعليم الدينيّ. نعم. ولكن لا يعاكسهُ. . . فهما على خطّين متوازيين لا يتقاطعان ولا يتماسّان ابدًا ولا المعلّم العلمانيّ يقيم نفسهُ مقام الوالد او مقام معلم الدين كمن يستغني عنهما في تربية الناشيء كلًّا ولكنهُ انما يساعدهُ مساعدةً ... الكتاب الذي وضعناهُ في ايدي التلامذة لدرس الفلسفة الادبيَّة فهو الادب في المدرسة تأليف «Payot» وهو كتاب اجتماعي كبير ومؤلفهُ هذا شهير » (وزاد في ص ٢٨): « يمرّنهُ التلامذة ويشرحونهُ بمساعدة الاستاذ شرحًا دقيقًا وافيًا »

فالكتاب الذي اتَّخذتهُ تلك المدارس العلمانية كدستور لتعليم الآداب يُدعى بالفرنسويَّة « La Morale à l'école » صاحبهُ جول پايو (J. Payot) اودعهُ خلاصة الآداب المجرَّدة عن الدين وهو يزعم انَّهُ لا يعاكس الدين. وللمؤلف عينهِ كتاب آخر لهُ علاقة مع الكتاب السابق وضعهُ لمعلّمي المدارس ليساعدهم في شرحهِ اسمهُ دستور الادب « Cours de morale » فعلى هذين الكتابين مبنى التعاليم الادبيَّة في المدارس العلمانية فلننظر صحَّة قول اصحاب هذه المدارس بانَّ هذه التعاليم لا تمسّ الاديان

١ من المعلوم انَّ الاديان الشائعة في بلادنا الشرقيَّة ثلاثة اقدمها دين اليهود ثم النصرانيَّة ثم الاسلام وهي تتَّفق في عدَّة اشياء ولا ترضى بان احدًا يتعرَّض لها وان فعل عدَّتهُ من اعداء الدين. واوَّل هذه الحقائق وجود الله عزَّ وجلَّ فكل هذه الاديان تعتقد انَّهُ تعالى الاله الوحيد الواجب الوجود الذي لا اوَّل له ولا آخر القادر على كل شيء والعلَّة الاولى لكل العلل وهو لا علَّة له

هذا مفتتح تعاليم أديان الشرقيين لكنَّ اصحاب المدارس العلمانيـة لا يرون هذا الرأي فاسمع فتوى المسيو پايو في دستور الآداب (ص ١٩٠)

« انهُ من الامور المستحيلة المضادَّة للعقل بان يُفترض علَّة اولى للعالم (il est absurde de supposer une cause première de l'Univers) لانَّ هذه العلَّة تكون بلا علَّة سابقة ومن جهة أخرى لا يدرك عقلنا وجود سياق علل لا نهاية لها »

فما ابرع فيلسوف المدارس العلمانية في نكرانهِ لوجود الخالق فكأنَّه يقول: « كيف تسمّي الله العلَّة الاولى أفيمكن ان تكون علَّة الَّا معلولة من غيرها. ثم يناقض نفسه

بقوله « انّ سياق علل لا نهاية لها لا يدركهُ عقلنا » فوقع بين مشكلين غرق في تيّارهما لنكرانه وجود الله . قد فهمتَ يا مسيو پايو انّ سياق علل غير متناهية من الامور المستحيلة فكيف لم تستنتج مع كلّ الفلاسفة فضلًا عن اصحاب كل الاديان: « اذن لا بُدَّ من القول بوجود علّة اولى لكل المعلولات لا علّة لها ندعوها الواجب الوجود ؟ فما اصدق ارباب المدارس العلمانيّة في قولهم انّهم لا يمسّون الاديان » !

٢ وكما تتّفق الاديان على الاقرار بوجودهِ تعالى عزَّ وجل كذلك كلُّها صوت واحد في اعتقادها لحدوث العالم . فانّ العقل والنقل يبيّنان صريحاً انّ ما كان مادّيًا متغيّرًا ناقصًا محدودًا ليس بواجب الوجود من ذاتهِ لا بُدَّ لـه من محدث يخرجهُ من العدم الى الوجود او يُقال بوجود سلسلة علل غير متناهية وذلك مستحيل كما سبق القول لپايو فلا بُدَّ اذن من الاقرار بان العالم مُحدَث

اما المسيو پايو معلم الآداب العلمانية فيرتأي غير ذلك في كتابهِ دستور الادب (ص ٢٦ و ٢٧) فانه من جانب ينكر وجود العدم (Le néant hypothèse absurde) ومن جانب آخر لا يرضى بوجود الخالق كما مرَّ او يزعم بانه « قوّة مجهولة يسمّيها البعض باسم الله والبعض بالصدفة والبعض بالطبيعة » (ص ٢٧) (cette Puissance Inconnue que les uns appellent Dieu, d'autres le Hasard, d'autres la Nature)

فينتج عن هذا الكلام انّ العالم قديم لا صانع لـه وانّ الذين يدّعون بانّه يوجد قوّة فوق العالم لا يعلمون شيئاً من تلك القوّة وسواء ان يقال انها الاله او الصدفة او الطبيعة . هذا ما يعلّمه اصحاب المدارس العلمانية لتلاميذهم المسلمين والنصارى واليهود

فاعجبي انّ فلتير الكافر لم يبلغ الى هذا الحدّ من الكفر وهو القائل انّهُ مهما بحث عن العالم زاد تحقّقًا بانّ سببهُ الله كالساعة التي لا توجد دون ساعاتي ركّبها فقال: Le monde m'embarrasse, et je ne puis songer

Que cette horloge existe et n'ait pas d'horloger.

٣ ومما تتّفق عليهِ الاديان الثلثة انّ الله خلق الانسان في حالة الكمال الّا انّهُ لم يبقَ في تلك الحالة السعيدة فهبط من فردوس عدن واضطُرَّ الى ان يفلح الارض ويقوم بحاجاتهِ بالعناء والتعب ويأكل خبزهُ بعرق جبينهِ الى ان يعود الى التراب بالموت

وتبعهُ اولادهُ فورثوا من جهلهِ واستقامهِ جيلًا بعد جيل وانْ امكنهم بمساعيهم الخاصَّة وبجمع قواهم وترقّيهم العلمي وعيشتهم المدنيَّة والوحي على ايدي رسلهِ تعالى ان يخفّفوا وطأة البلايا التي تحدق بهم

لكنَّ مسيو پايو يرى ان كل ذلك لا اصل لهُ فعرض في كتابهِ دستور الادب » (ص ١٩١) تعليم دروين بل زاد عليهِ ما لم يَقُل بهِ دروين فزعم هنالك انَّ العلماء زيَّفوا اعتقاد خلقة العالم (L'idée d'une création fut abandonnée) وانَّ عالمنا هذا الازلي بعد ملايين من السنين تكوَّن فصار من تلقاء ذاتهِ كُتلةً باردة القشرة . ثم نشأت الحياة من الجماد فتقلَّبت في كل اطوارها من النبات الى الحيوان ومن الحيوان الى الانسان وان الانسان كان اوَّلًا بهيمة عجماء تحوَّلت بسنَّة الترقي الى حيوان ناطق . هذا ما يعلّمهُ اصحاب المدارس العلمانيَّة لاولادهم فيقتارن فيهم كلّ جامحة شريفة اذ يجعلونهم اولاد القرود والعجماوات فما اصدقهم بقولهم لا يتعرَّضون للاديان !

٤ الاديان الثلاثة في الشرق اي الاسلام والنصرانيَّة واليهوديَّة تقول كلّها بضرورة الدين وباجلالهِ وحفظ تعاليمهِ والدفاع عنهُ . لكنَّ المسيو پايو لا يرى في الدين الَّا مجموع خرافات لا طائل تحتها يتمسَّك بها البشر جهلًا دون سند . وقد وصف (ص ١٩٩ من كتاب دستور الادب) إله اليهود كإله همجي بربري وكملك شرقي مستبدّ يتقلَّب من حالة الى حالة كيفما يشاء ودون تعقُّل (كذا) . ووصف الاسلام (ص ١٩٩) بما لا نحبُّ اثباتهُ هنا ترفعًا . ونعت النصرانية (ص ١٩٨) بعدوّة التقدُّم . ولا عجب لأنَّنا نعلم انَّ المسيو اولار منشئ هذه المدارس قد صرَّح بفكرهِ غير مرَّة انَّهُ لم يقصد في انشائها الَّا مناقضة كل دين راجع في المشرق (١٢ : ٨٧٩ — ٨٨٠) ما نقلناهُ من خطبتهِ الفرنسويَّة حيث قال : « ما لنا نظنُّ مجاهرين بأنَّنا لا نرمي الى تقويض اركان الدين . . . لماذا هذا التمويه ؟ فلنقُل صريحًا إننا نسعى في هدم اركان الدين » . فمن كان لهُ اذنان سامعتان من النصارى والمسلمين واليهود فليسمع !

٥ ومع اكرام النصارى والمسلمين واليهود لدينهم يقرُّون ايضًا بوحيهِ تعالى الى رسلهِ وانبيائهِ ويقرُّون بوجوب اعتقاد الوحي لانَّ الوحي كلام الله الذي لا يستطيع الانسان نبذهُ دون ان يخالف مشيئة خالقهِ فان اتى الرسل بشيء من المعتقدات

والفرائض وتحقّق المرء صحّتها فما عليه الّا الاذعان لاوامر ربّه اذ هو العبد والربّ هو السيّد الذي وجبت طاعتهُ

والمسيو بايو في كتابيه اللذين شاع درسهما بين اصحاب المدارس العلمانيّة ينكر الوحي ويعتبرهُ كأمر فريّ مختلق ووهم كاذب اخترعهُ ذوو الغايات من ارباب الدين. كيف لا وهو ينكر وجود الخالق كما مرّ بك. وقد خصّ المسيو بايو فصلًا كاملًا من كتابه « دستور الادب » (ص ٢٠٢–٢٠٤) لنفي كل وحي من الله فيزعم انّ ما ظنّه الناس وحيًا ليس هو الّا « اضغاث احلام وتوهّمات غلبت على عقول بعض المجاذيب والمصروعين والمتوهين تناقلها الناس وظنّوها جزافًا اقوالًا علويّة وفيها ما فيها من الاكاذيب التي بيّن العلم العصري بطلانها كخلقة العالم وتكوين الابوين الاوّلين والخطيّة الاصليّة والطوفان الخ » (ص٢٠٣). وزاد على ذلك « لا بل انه لخطر عظيم ان يقبل الانسان وحيًا من الله لانّ ذلك يبطل اجتهاد الانسان وبحثه الحرّ » La croyance, en une révélation directe faite par Dieu présente de graves dangers : elle tend à rendre inutile le travail et la libre recherche ما اعظم اكرامكم للاديان يا ارباب المدارس العلمانيّة !

٦ وكما ينكر بايو الوحي ينكر الكتب المنزلة وكل سلطة دينية من شأنها ان تقيّد حريّة الانسان لأنّ العقل على زعمهِ بلغ اليوم من القوّة والاتّساع ما يغنيه عن التوراة والكتب الالهية والسلطة الدينيّة (راجع الصفحة ٩ من مقدّمة كتاب بايو في دستور الادب) وعليه يناقض هذا الكاتب توًا كل معتقدات اديان الشرقيين دون استثناء. ويا ليت اصحاب المدارس العلمانية تلك البادئ الفاسدة اولادهم

٧ من الحقائق الاوّلية التي لا يشكّ فيها احد من اصحاب الاديان الشرقيّة الثلثة الاسلام واليهوديّة والنصرانيّة انّ للانسان نفسًا خالدة لا تموت بموت الجسد فتبقى من بعده حيّة موبّدة. فاسمع ما يعلّمهُ بايو للامذة المدارس العلمانيّة في كتاب دستور الادب (ص٢٩٧): « انّ اعتقاد خلود النفس قد نال حظًّا من سنّة الترقي. طالما ظنّ الناس انّ نفس الموتى تتجوّل وهي نصف مادّيّة حول الامكنة التي كانت تتقوّت فيها وتُكرَم. اما اليوم فتقرّ بجهلنا المُطلق لحياة توجد بعد الموت. فعلى الانسان ان يتخيّل مهما شاء. الّا انهُ لا يجوز لاحد ان يدعو غيرهُ الى مقاسمة اهوائه او يقينه في ذلك ».

ثم يشرح ما يمكن تصديقهُ من خلود النفس اعني « انَّ نفس اجدادنا هي تبقى فينا » !

٨ المسلمون كالنصارى واليهود يقولون بحياة أُخرى ينال فيها البشر جزاءهم من الخير والسعادة اذا كانوا من الابرار والصالحين ومن الشرّ والعقاب اذا اساءوا السيرة في حياتهم وكانوا من الطالحين وكتبهم تنطق كلها بهذه الحقائق. لكنَّ اصحاب المدارس العلمانية يعدّون ذلك من السفاسف واقوال العجائز. فانَّ پايو معلّم الآداب العلمانيَّة يكرّر في كل تآليفهِ انَّ الانسان لا يعرف شيئاً مما وراء حياتهِ فعليهِ ان لا يطمح بنظرهِ الى عراقيبهِ من نعيم وجحيم وهو يرى انَّ تنشيط الانسان بوعد الجزاء يخالف شرفهُ فانَّ النفوس الشريفة تعمل الخير حبًّا بالخير مع قطع النظر عن كل جزاء. وكذلك الخوف يجب على الانسان ان ينفيهُ من قلبهِ فان ذكر الجحيم والعذابات الابديَّة لمَّا يجعل المرء نكسًا جزعًا فيقاق فكرهُ ويشوّش عقلهُ ويمنعهُ عن الكمال. ومن وجّه حياتهُ الحاضرة الى حياة أُخرى فانقة الطبيعة بعد الموت جعل الحياة الحاضرة كواسطة الى الأُخرى والحال ان حياتنا الحاضرة هي غايتنا القصوى. هذا ما تجدهُ مكرَّرًا في كتب پايو في صفحات عديدة وخصوصاً في كتاب دستور الادب ص ٩ و١٠ من المقدّمة وص ٢٠٨ و٢٠٩ و٢٣٢) بل بلغ بهِ الكفر (في الصفحة ٢١٨) الى ان قال « مَن علَّم الناس انَّ ثوابًا او عقابًا في الآخرة يأتي بذلك عملًا مثافياً الدين (irréligieux) وموجباً للشكوك scandaleux » (كذا). وفي الصفحة ٢٢٤ ينكر وجود السماء والجحيم فيزعم انَّ السماء او الجحيم هما ما يشعر بهِ الانسان من البسط او من القلق اذا عمل الخير او ارتكب الشرّ

٩ كل الاديان دون استثناء تثبت وجوب الصلاة والدعاء الى الخالق ليطلب الانسان نعمتهُ تعالى ويستمدّ معونتهُ. اما مسيو پايو معلّم الاداب العلمانيَّة فقد مسخ الصلاة وانكر وجوبها ووصف الصلوات التي اعتادها النصارى والمسلمون واليهود كأعمال حيوانية لا يدخل فيها شيءٌ من التعقُّل والادراك. (راجع الفصل ١٧١ من كتاب دستور الادب ص ٢٠٥ و٢٠٦)

هذه بعض مزاعم پايو معلّم الاداب العلمانية التي فُرض على المدارس العلمانيَّة درس كتبهِ وشرحها. نعم ان معظم ما نقلناهُ قد ورد خاصَّة في كتاب المعلّم (Cours de morale) الّا انَّ كتاب التلميذ (La Morale à l'école) يحتوي

تلك التعاليم مستترةً محجوبةً فيكشف العلم حقيقتها كما تراها في كتابه الآخر لا بل كشفوا عن نيّاتهم الكفريّة حتى في كتاب التلميذ مثلاً في الصفحتين ٢٣٠—٢٣١ حيث يقال انّ اعتقاد وجود الله واصل العالم واصل الانسان وغايتهُ كلّها مزاعم لا يمكن اثباتها ولا تتّفق عليها الآراء . فلينظر العقلاء من الشرقيين صدق قول ارباب تلك المدارس بان تعليمهم لا يمسّ الاديان وليتحقّقوا انّ اساقفة فرنسة عملوا بكل حكمة وصواب بتحريم كتب پايو وزملائه التي ألّفوها للمدارس العلمانية ولنقض كل دين لا بل قاموا باهمّ واجباتهم اذ رذلوها وشجبوها جازاهم الله خيرًا وصان بلادنا من الكفر

اين توفّيت السيّدة البتول

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعي

في احد اعدادنا السابقة (ص ٤٧٥) مدحنا كتابًا حديثًا في الفرنسويّة لحضرة قانوني القبر المقدّس الخوري حنا مرتا بيّن فيه صحّة رأي القائلين بانّ السيّدة العذراء مريم امّ الله لم تمت كما زعم البعض في افسس بل في اورشليم . وقرب وقوع عيد انتقال البتول في اواسط الشهر آب التالي رأينا ان نعود الى هذا البحث ونقرّر رأي حضرة المؤلف وندعمهُ ببعض الشواهد

*

انّهُ من المعلوم الثابت انّ مريم العذراء بنعمة حبلها الطاهر البريّ من الخطيئة الاصليّة كانت معفاةً من الموت الجسديّ الذي هو ثمرة الخطيئة الاصليّة (روم ٦ : ٢٣) لكنّ الله الذي اسلم ابنهُ الحبيب فداء عن العالم ولم يُعفهِ من الموت اراد ايضًا ان تكون البتول الطاهرة مثالًا للمؤمنين في موتها الصالح وذلك على خلاف زعم البعض انّها لم تمت وانتقلت الى السماء حيّةً . ولمّا كان الموت بابًا اجتازتهُ قبل ان تنال الجزاء الوافي عن اعمالها واتعابها ليس فقط في نفسها كبقية اولياء الله الابرار لكن في جسدها ايضًا اذ لم يشاء الربّ انّ ذلك الجسد الطاهر الذي منهُ كوّن الروح القدس جسد ابنهِ الالهي يُصاب بادنى فساد ومن ثمّ وقع بعثها من القبر بعد برهة وجيزة وانتقل جسدها الى السماء حيث ينال بصحبة جسد السيّد المسيح الاكرام والمجد اللائقين به قبل يوم